

صمود ام انتظار؟

ليس اسمل من انتقاد حدث من نوع قمة عمان عندما يكون المرء في بيروت. كان سهلا انتقادها قبل انعقادها استباقا لما ستشهده من "تفريط". وكان سهلا انتقادها خلال انعقادها تنديدا بـ "المهرولين" على اختلافهم. وسيكون سهلا انتقادها بعدما انهدت اعمالها، تشفيا بضآلة النتائج العملية التي آلت اليها.

بالطبع، لا تلغي سهولة الانتقاد ضرورته. فالقمة كانت فعلا سيئة. ولكن هل يمكن الاكتفاء بهذه الخلاصة لبناء موقف سياسي، كما يفترض ان يبنيه الاطراف الذين ناهضوا هذه القمة من حيث المبدأ؟ وهل يصح الاستنتاج من النتائج الضعيفة للقمة ان الصمود في العزلة هو كل ما يلزم في هذه المرحلة؟

عندما بدأت مسيرة الصلح المنفرد والتطبيع بين مصر واسرائيل، قبل ثمانية عشر عاما، قامت جبهة الصمود والتصدي. صحيح انها لم تستمر طويلا وان ايا من اطرافها لم يفلح في التصدي، ولا حتى في اقامة التوازن الاستراتيجي مع العدو، فانتفت مقومات الصمود. الا انه كان هناك على الاقل رغبة في الايحاء بضرورة التصدي. اما اليوم، فابن التصدي؟ بل اين الصمود؟

ليس المطلوب بالتأكيد تصد عسكري، فالجميع يعرف استحالته. فإرادة التصدي لا يمكن ترجمتها الا بالمنطق نفسه الذي يحكم المهجمة المدانة، اي المنطق الاستراتيجي الشامل الذي يتشكل في الدرجة الاولى من عوامل اقتصادية. وما عدا ذلك، لا يكون الصمود اكثر من انتظار للاعظم.

في هذا المعنى، فان انملح لتجسيد ارادة التصدي، بافتراض انها متوافرة، هو طرح رؤية مغايرة لتلك التي تتحكم في التكامل الاقتصادي المروج له اسرائيليا، او على الاقل بلورة مشروع كفيل تصحيح الانعكاسات السلبية لهذا التكامل على العالم العربي عموما، وعلى سوريا ولبنان خصوصا. ولا بد هنا من القول ان الانتقاد الواجب توجيهه الى قمة عمان لا يجوز ان يتحول استهتارا. فعلى رغم ضآلة النتائج المحققة، ثمة جانب ناجح، وناجح جدا في هذه القمة، هو الجانب التراكمي للاتصالات الاقتصادية العربية - الاسرائيلية. فالقمة في التنمية لم ينفرط عقدها بل اكدت استمرارية هذه الاتصالات، بدليل انه تم الاتفاق على عقد القمة المقبلة، والتي ستكون الثالثة، في القاهرة.

من عادة الرئيس رفيق الحريري، ان يقول، عندما يسأل عن دور لبنان، ما مفاده ان هذا الدور ليس مقدرا وانه لا يمكن تحديده الا ذاتيا. حسنا! فكيف نحدد اذاً دور لبنان الاقتصادي، ودور سوريا ايضا، في ظل شبكة العلاقات التي باتت تبني خارجهما؟ ألم يكن الوقت لمثل هذا التحديد؟

سمير قصير